"الولي" من المتخيل الجمعي إلى المنجز الأدبي

The saint from the collective imaginary to the literary achievement

بوقدوم نجوى

جامعة 20 أو ت 1955 سكيكدة (الجزائر)nboukadoum29@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/10 تاريخ القبول: 2023/07/16 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص:

رصدت هذه الدراسة تجليات الولي في الأسطورة والدين والأدب، وأبانت عن كثافة دلالية وموضوعاتية اتسمت بها هذه الشخصية الملغزة في حركيتها من المتخيل الجمعي إلى المنجز الأدبي.

وأظهرت هذه الدراسة جملة الخلفيات والمرجعيات الدينية والأسطورية التي أسهمت في تشكيل شخصية الولي وإعطائها تلك القداسة المتفردة، وتلوينها بأطياف العجيب والمدهش والخارق.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن شخصية الولي تشكل توليفة خاصة ومتفردة من الأسطوري والديني والفلسفي، فهي شخصية فسيفسائية تلونت بأطياف عدة، وهذا ما منحها زخمها الدلالي.

كلمات مفتاحية: الولي، الأسطورة، المعتقد، الطقوس، الدين.

Abstract:

This study has followed the manifestations of the saint in myth, religion, and literature and has revealed the semantic and thematic intensity that characterizes this enegmatic personality in its passage from the collective imagination to litrraryachievement.

This study concluded that the personality of the saint constutes a special and unique combination of the mythical,thereligious,and the philosophical.

Keywords: The saint,Themyth,Thebelief,TheRetuel,The Religion

المؤلف المرسل: بوقدوم نجوى –nboukadoum29@yahoo.com

المقدمة:

تحضر شخصية "الولي" في الكثير من التمظهرات الثقافية وتحظى بالكثير من القداسة والتبجيل، وترتبط ارتباطا جدليا ببعض المنظومات الفلسفية والمعتقدات الدينية والمرجعيات الأسطورية التي أسهمت في تشكيلها وقولبتها.

كل هذا دفعنا إلى طرح جملة من الإشكالات التي يمكن ضبطها فيما يلي:

-ما هي الخلفيات العقدية والمرجعيات الفلسفية التي أسهمت في تشكيل شخصية الولي؟

-إلى أي مدى يمكن اعتبار الولي شخصية دينية"

-ما هي المواصفات التي تتسم بها شخصية الولي؟ وما علاقتها بالعجيب والمدهش والخارق؟

-إلى أي مدى استطاعت شخصية الولي الحفاظ على خصائصها المميزة لها عند انتقالها من المتخيل الجمعي إلى المنجز الحكائي الأدبي؟

-ما هي الموتيفات التي أسهمت في أسطرة شخصية الولي؟

هي إشكالات حادة وجادة في الوقت نفسه تلزمنا بالإجابة عنها، والبحث عن تفسير لها من خلال اعتماد منهجية صارمة ترصد حركية الولي بداية من الوجود العقدي والأسطوري، ثم مرحلة التشكل الحكائي من خلال السرد والرواية الشفوية، وأخيرا مرحلة موضعة شخصية الولي ضمن أشكال وأجناس أدبية مختلفة وهي، كما يبدو جليا، مقاربة كرونولوجية، تنطلق من الخارج النصي لتتموضع داخل النص في نهاية المطاف.

1-المُعْتَقَدُ: حدود المفهو م ومعضلة التعريف:

المعْتَقَدُ هو كل ما يعتقد به الفرد أو تؤمن به الجماعة، وقد يكون المعتقد فكرة مجردة كفكرة الموت أو الخلود أو البعث، وقد يكون كذلك اعتقادا بوجود فيزيائي يقع تحت إدراك الحواس، وسلطة العقل،ومدركاته، كالاعتقاد بشخص أو بحيوان، أو بظاهرة من الظواهر الطبيعية، كما قد يكون المعتقد

كذلك إيمانا واعتقادا بوجود غيبي أو ميتافيزيقي لا تدركه الحواس،ولا تقدر على الإحاطة به أو تحسسه. وهو كل ما يدخل تحت عالم الإلهيات،والأرواح.

"وأصل كلمة المعتقدات في اللغة من العقد وهو نقيض الحل، وعقد الحبل شده، وعقد العهد واليمين، وعقّدهما أكدهما، والمعاقدة المعاهدة والميثاق، وتعقد الإيمان بينهم استحكم، واعتقد أمرا بقليه إذا ارتآه، ومن ذلك العقود وهي العهو د أو الفرائض التي يلزمها الناس، قال تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أو فوا بالعقود"، قال العلماء في تفسيرها أي التي يعقدها الله عليهم، أو التي يعقدها بعضهم على بعض. (الشيخ، 1986، صفحة 4).

وعليه فالمعتقد هو كل ما استقر في القلب وصدقه اللسان، وهو لا يحتاج إلى دليل عقلي يعضده ولا تقدر أية حجة منطقية أن تدحضه لأن الاعتقاد سلوك وجداني يرتبط بالقلب وبالشعور أكثر من ارتباطه بالعقل والمنطق، "فالمعتقد، كما أسلفنا، عبارة عن تصور وإيمان وعلاقة بين الإنسان وما يتصوره في الحياة والوجود، غير أنه من طرف آخر يفصح عن قضايا نفسية واجتماعية كثيرة. (الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، 2005، صفحة 15،16).

هناك اختلاف بَين ما بين المعتقد والمعرفة،فالمعتقد يتوسل البصيرة والوجدان والمعرفة تتوسل العقل والحواس، "فالمعتقد هو إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يُكْرهُ الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأو يل أو مذهبا جزافا،وسوف نرى أن العقل غريب عن تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل في تبرير المعتقد إلا بعد أن يتم تكوينه،يجب أن نصف بالمعتقد كل ما هو من عمل الإيمان. (لوبون، 2014، صفحة 17)

2- المُعْتَقَدُ الشعبي:حداثة التسمية وخصوصية المصطلح.

2-1: حداثة التسمية:

نقصد بمصطلح "المعتقد الشعبي" كل الأشكال والتصورات الإيمانية التي تشترك فيها شريحة اجتماعية معينة، وتؤمن بها إيمانا قلبيا ووجدانيا، ويتجلى هذا الإيمان في بعض الأشكال والممارسات الكلامية أو الفعلية(العملية)[الطقوس والشعائر والعبادات] التي تعد تمظهرا لتلك القناعات الإيمانية والتي لا تلبث أن تتحول في آخر المطاف إلى شكل من أشكال الثقافة،ونسقا من أنساقها، وهنا تحديدا نتحول

من الحديث عن المعتقد الفردي أو الذاتي أو الشخصي إلى الحديث عن المعتقد الشعبي أو الجمعي أو العام، و"تدل صفة "الشعبية "هنا على ما تدل عليه عبارة "الأغاني الشعبية"،أو " العادات الشعبية" إلخ، أي أننا نقصد المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي.(الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، 1978، صفحة 43)

وعليه فالمعتقد الشعبي يشكل نسقا ثقافيا ذو طبيعة اجتماعية، ويتم التعبير عنه وممارسته من خلال جملة من الطقوس والشعائر التي تترجم إيمان جماعة معينة بهذا المعتقد أو ذاك، "حيث يمثل المعتقد الشعبي عنصرا مهما من عناصر الثقافة التي تتأثر بما يحيط بها من عوامل التغير، والتي يكون فيها المعتقد أقل عرضة للتغيرات من غيره من عناصر الثقافة من حيث المضمون، أما من حيث الممارسات السلوكية الدالة على هذا المعتقد فهي أكثر عرضة للتغيير لتواكب عوامل الزمن والتقدم المصاحب له، بهدف المحافظة على وجود هذه المعتقدات وتدعيم استمراريتها بين أفراد الجماعة الواحدة بما يحفظ للمجتمع هو يته واستقراره.(أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، 2013، صفحة 21)

تختلف طبيعة المعتقدات الشعبية باختلاف مناحي الحياة وضروبها ومسالكها،وتصوراتها والأفكار التي تقوم عليها، فنجد المعتقدات الشعبية المرتبطة بطقوس الاستمطار، وكذلك نجد بعض المعتقدات الشعبية المرتبطة بعالم الكائنات فوق الطبيعية من مثل الملائكة والجن والشيطان وإبليس والعفاريت والقرين والغول والمارد وغيرها من الكائنات الروحانية التي تعتقد بها العامة وتؤمن بوجودها وقدرتها على الضرر أو النفع، وكذلك المعتقدات المتصلة بالحيوان والتي تعرف عند أهل الاختصاص بالمعتقدات الطوطمية، ثم هناك معتقدات شعبية أخرى ترتبط بمظاهر الخلق والموجودات،من مثل التكوين والخلق والطوفان والجنة والقيامة، وهي ما تعرف بالانطولوجيا الشعبية وهناك معتقدات أخرى ترتبط بالحياة الزوجية وما يترتب عنها من حمل وولادة وإنجاب، وهناك صنف آخر من المعتقدات الشعبية التي ترتبط بعالم الأو لياء وما يتصل بهم من كرامات، وما يتعلق بهم من ممارسات من مثل الزيارة والنذر والمولد.

يعتبر مصطلح "المعتقدات الشعبية" مصطلحا حديث الولادة، جاء بعد صراع طويل ومرير من الجدال والنقاش، وهو مصطلح كما يبدو جليا يحيل على كل أشكال الاعتقاد التي تصدر عن جماعة

بعينها،دون ازدراء وتحقير لهذه المعتقدات أو محأو لة تحريفها وتشويه مقاصدها وغاياتها،"وقد كان الشائع أن يطلق عليها في الماضي اسما ينطوي على حكم قيمي واضح،إذ كانت تسمى (خرافات أو خزعبلات)، وكذلك الحال في اللغات الأجنبية في الإنجليزية حيث كان يطلق عليها اسم Superstitions ثم أصبحت تسمىFolk Belifوفي الألمانية كانت تسمى أيضا Aperglaube(أي خرافات أخرى) ثم تخلى الباحثون عن هذه التسمية وأصبحت تسمى الآن (Volksglaube) ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسمي، سواء في الخارج أو عندنا، لأن المعتقدات التي تدور حول هذه الموضوعات الغيبية —ولا تتفق وتعاليم الدين الرسمي، لا تستحق من وجهة نظر أصحاب هذا الدين اسم " معتقدات" فكانت تسمى بهذا الاسم الخاطئ الذي تخلينا عليه الآن. (الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، 1978، صفحة 43)

2-2:خصوصية المصطلح:

سبق وأن أشرنا إلى أن المعتقدات الشعبية هي مجموع الأفكار والتصورات والقناعات التي يشترك فيها الفرد مع جماعته والتي تعبر في الوقت نفسه عن إيمان تلك الجماعة بهذه الفكرة وتقديسها، وعليه فإن أصل المعتقدات الشعبية هي الأفكار التي تعبر عن موقف الجماعة من الكون ومن الوجود ومن الله ومن الحياة ومن الموت، وهذا يعني أن المعتقدات الشعبية تترجم وعيا جمعيا وتجسد فلسفة وجودية وشمولية، وهنا تحديدا تتجلى أو ل خاصية من خصائص المعتقدات الشعبية ونقصد بها أنها ترتبط ارتباطا عضويا بالأفكار، وهذا ما يجعل التعامل مع هذه المعتقدات الشعبية محفوفا بكثير من المزالق التأو يلية والمغامرة التفسيرية لأن تلك المعتقدات الشعبية تعبر عن القوة الإيمانية التي مقرها القلب وليس باليسير التكشف عنها أو ملاحظتها أو معاينتها ومن هنا تتأتى صعوبة دراسة المعتقدات الشعبية وتفكيك حمولاتها، واستخلاص مدلولاتها لارتباطها بالمجرد والغامض والمتستر ونعني بها تلك الأفكار الإيمانية التي مقرها القلب والروح، وعليه "تتميز المعتقدات الشعبية ببعض الخصائص التي تميزها عن سائر الأنواع الشعبية الأخرى،فاللغة الشعبية تنطق وتكتب، وتتطلب وجود شريك ليتم معه حديث، ومجتمع يتفق على رموز هذه اللغة،كذلك الزي الشعبي، وأدوات الزينة كلها تستمد قيمتها من إظهارها للناس، وإعلانها،

والعادات الشعبية لا بد أن تمارس، فتظهر بالضرورة على الملإ، ..أما المعتقدات الشعبية –فهي على خلاف كل هذه العناصر الشعبية –أصعبها كلها في التنأو ل وأشقها في الدراسة والبحث لأنها خبيئة في صدور الناس، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر، وتتشكل بصعوبة – مبالغ فيها أو مخففة، يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا. (الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، 1978، صفحة 44،43)

تتحول تلك المعتقدات الشعبية إلى شكل من أشكال السنن الاجتماعية التي تمارس سطوة وجبروتا على الجماعة التي تعتقد فيها، " ذلك لأن الطقوس –عند سمنر –ما هي إلا أعمالا تؤدى أيضا بطريقة لا شعورية، وهي فوق ذلك قوة في ذاتها، لا تدانيها عقيدة أو قانون، وفي هذا المعنى يقول سمنر ليست هناك عقيدة دينية،أو قانون أخلاقي، أو دليل علمي يمكن أن يداني في سيطرته على الناس سطوة الاعتياد على عمل معين تلازمه مشاعر ووحالات ذهنية شبوا عليها منذ طفولتهم الأو لى. (حمداوي، أنثروبولوجيا الطقوس و الشعائر الدينية، 2020، صفحة 22)،وعليه فإن الشعيرة "عبارة عن العلامة التي يتميز بها الشيء عن غيره، ويقصد بالشعائر والطقوس الدينية "مجموعة من التقاليد المرعية، والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة، ذات سلطة قهرية ملزمة، ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات معينة.(حمداوي، أنثروبولوجيا الطقوس و الشعائر الدينية، 2020، صفحة 22)

أدرك الإنسان منذ طفولته الأو لى أن هناك قوى خارقة تسكن الأشياء والظواهر والموجودات، وهي التي تتحكم إلى أبعد الحدود في توجيهها،فـ"منذ عصور ما قبل التاريخ، وهؤلاء الناس على وعي بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجودهم، وتشهد على ذلك بقايا المعابد والهياكل، وأماكن التضحية وتقديم القرابين، والتماثيل الرمزية الصغيرة وتماثيل الآلهة، وعادات الدفن.(بارندر، المعتقدات الشعبية لدى الشعوب، 1993، صفحة 12،11)

تشكل تلك الطقوس والشعائر الدينية شكلا من أشكال المقدس، " فكل طقس وكل أسطورة وكل معتقد أو صورة إلهية يعكس تجربة المقدس،...إن الشعور بعالم حقيقي وذي معنى مرتبط صميميا باكتشاف المقدس، ... وباختصار فإن " المقدس" هو عنصر في بنية الشعور، وليس مرحلة في تاريخ

هذا الشعور، وبعبارة أخرى، أن تكون،أو بالأحرى أن تصبح –انسانا يعني أن تكون متدينا.(إلياد، 1987، صفحة 9)

3–المعتقدات الدينية:

لعل أكثر أشكال المعتقدات الشعبية صعوبة وتجريدا عند الدراسة هي تلك التي تضبط وتحدد علاقة الإنسان بالغيبي والميتافيزيقي لأنها معتقدات تنشأ عن تصورات متنوعة ومختلفة عن الله والغيب والموت والحياة، فـ" إذا كان أرسطوقد عرف الإنسان بأنه "حيوان ناطق" أي مفكر فقد عرفه غيره من الفلاسفة بأنه حيوان متدين، فذهب هيجل مثلا إلى أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون و الأخلاق ، ذلك لأن التدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني، إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان،مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء.(بارندر، المعتقدات الشعبية لدى الشعوب، 1993، صفحة 7)

فالمعتقدات الشعبية المرتبطة بكل ما هو ديني وسمأو ي تكتسب قوة إيمانية كبيرة تجعلها في مرتبة المقدس والجليل ولهذا فتلك المعتقدات الشعبية ذات المرتكزات الدينية تكون عادة شديدة الحساسية عند دراستها لارتباطها بالمقدس عند الإنسان،"وفي إيجاز،إن فكرة المقدس تفرض فكرة التفوق،(السمو)، وعلاقة متبادلة بين الاستقلال والخضوع، تشير الصفة الربانية إلى العظمة المطلقة للإله،لكماله وقدرته. (ريفيير، 2015، صفحة 40)

وعليه فإن المقصود بالمعتقدات الدينية هي تلك الأفكار والتصورات والممارسات والشعائر التي تجسد علاقة الإنسان بالله، وهذه العلاقة ما بين الإنساني والإلهي تعتبر الثابت الوحيد في كل الأديان، حتى وإن اختلفت طرائق تجسيدها وأشكال تمظهرها،فـ" ثمة مفهو م يُعَدُ مميزا كل ما هو ديني، هو مفهو م ما فوق الطبيعي، والمقصود من ذلك كل نظام للأشياء يتجأو ز مدى إدراكنا، فما فوق الطبيعي هو عالم الغموض، عالم ما لم تمكن معرفته،ما لا يمكن فهمه،بذلك يكون الدين نوعا من التأمل بصدد كل ما يفلت من العلم، وعلى نحو أعم،كل ما يفلت من الفكر الجلي، يقول سبينسر:" تتوافق

الأديان المتعارضة تماما بعقائدها،على الاعتراف ضمنيا بأن العالم، بكل ما يحويه، وما يحيط به لغز يحتاج إلى تفسير. (دوركايم، 2019، صفحة 45)

إن تلك الأفكار والتصورات التي تجسد علاقة الجماعة بالما فوق طبيعي/الإلهي هي ما يمكن تسميته بالمعتقدات الدينية، وهي التي تضمن للمجتمع تناسقه وانسجامه وقوته، واستمراريته،"ذلك أن المجتمع ليس محصلة مجموع الأفراد الذين يحتلون مكانا معينا في ظل ظروف مادية معينة، المجتمع هو قبل كل شيء مجموعة من الأفكار، المعتقدات، المشاعر من كل نوع والتي تتحقق بواسطة الأفراد، وفي المحل الأو ل من هذه لأفكار توجد فكرة الأخلاق المثالية التي هي السبب الرئيسي لوجود المجتمع.(ويلام، 2005، صفحة 203)

4-الولي في المتخيل الجمعي :

تحظى شخصية الولي بكثير من التبجيل والإجلال عند عامة الناس، وهي شخصية دينية، لكنها تختلف عن الأنبياء والرسل، وهناك الكثير من الملفوظات الدالة على شخص الولي من مثل الشيخ، وأهل الله، وأحباب الله والعارف بالله، وغيرها من الألقاب التي تطلقها العامة على الولي ، فمن هو الولي؟ وما هي منزلته في الدين؟ وما هي كراماته؟،وما هي الروافد التي تغذيه وترفده؟.

"تستعمل كلمة ولي للدلالة على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحظى بتكريم خاص من جانب الناس(مسلمين ومسيحين)، ولكنها لا تنتمي مع ذلك إلى فئة الأنبياء، أو غيرها من الشخصيات الدينية المقدسة، وبذلك استعضنا بكلمة " أو لياء" عن كافة الألقاب والأسماء الأخرى " كالمشايخ، و"أهل الله". (الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، 1978، صفحة 389)

تصبغ عامة الناس على الولي الكثير من الصفات والحسنات، فيلتجئون إليه كلما أصابهم ضر أو مكروه، أو رغبوا في تحقيق مصلحة ما، فهو عندهم من أحباب الله ومن اصطفاهم من المقربين، وهو إضافة إلى كل هذا عارف بالله ومتعبد له، وخاشع، وخانع له،بل نجده في أغلب الأحيان معتكف على عبادته في المساجد أو في الزوايا،أو حتى في الفيافي والمغأو ر والكهو ف، وقد وهب نفسه لطاعة الواحد الأحد، وطلق مباهج الدنيا ومتعها.

"وأما عن مصطلح الوَلاَيَةِ فهي في حقيقة اللغة: بفتح الوأو بمعنى النصرة، والوِلاَيَةُ بكسر الوأو فهي الإمارة، وكلتاهما مصدر وَلِيَ، والأو لياء مصطلح يشير إلى تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحظى بتكريم خاص من جانب الناس، ولكنها لا تنتمي إلى فئة الأنبياء أو غيرهم من الشخصيات الدينية المقدسة، وقد ترسخ في الاعتقاد الشعبي أن الأو لياء هم الواسطة بين الإنسان وخالقه، كما يعترف المعتقد الشعبي للأو لياء بسلطان لا حدود له، ويضفي عليهم بعض الصفات المعجزة الخارقة للطبيعة، والاعتقاد في الأو لياء يشغل مساحة كبيرة لدى الجماعات الشعبية، فالأو لياء يجسدون أحلام وآلام واحتياجات هذه الجماعات في مختلف العصور.(أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، 2013، صفحة 148،149)

لعل مظاهر العجائبي والغرائبي التي تحضر في شخصية الولي مردها إلى قربه من الله عز وجل وطاعته وفنائه في محبة الله وعبادته، "فالولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض على الانهماك في اللذات والشهو ات، فأو لياء الله هم الذين اصطفاهم الله وجعلهم آية إظهار فعله، وخصهم بأنواع بالكرامات وطهرهم من الآفات، فلا هم لهم إلا سواه، ولا أنس لهم إلا معه. (القادر، 2008، صفحة 469،470)

5-كرامات الـــولي:

لطالما ارتبطت مظاهر التعجيب بالولي، وهذا ما يعرف عند الأو لياء والمتصوفة بالكرامات ونعني بها تلك القدرة الخارقة والعجيبة واللامألوفة على الإتيان بسلوكات وأفعال تتجأو ز طاقة البشر العاديين، كأن يستطيع الولي الطيران في الهو اء، أو المشي على الماء، أو السفر عبر بوابة الزمن،أو قدرته على شفاء المرضى، والمتون السردية التراثية حافلة بزخم من المشاهد التي تجسد كرامات الأو لياء، وتعرض خوارقهم، وتتحدث عن ملكاتهم الخارقة، فـ"عن أنس بن مالك قال:كنا مع العلاء بن الحضرمي في غزاة، فأصاب الناس عطش شديد، وليس في السماء قزعة من سحاب،فشكونا ذلك إليه،فتوضأ وصلى ركعتين، وقال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم،ارحمنا واسقنا. قال: فأنشأت سحابة كأنها جناح طير، فأفرغت فسقينا واستقينا،ثم خرجنا نريد الغزو، فطلبنا سفينة فلم نجد، فنزل العلاء بن الحضرمي فتوضأ وصلى ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عظيم أجزنا عليه، ثم سمى ومضى في البحر ومن خلفه، ونحن أربعمائة رجل، ما

أصاب الماءُ حافرَ دابة من دوابنا،حتى أتينا العدو فغنمنا وأصبنا، ثم خرجنا راجعين، فما أصاب الماء حافر دابة من دوابنا، ثم مات فدفناه في أرض سَبَخَة. فقال لنا بعض أهل الماء: أي رجل كان هذا الرجل فيكم ؟قلنا: من خيرنا وأفضلنا. قال: فإن هذه الأرض سَبَخَة تلفظ الموتى،فلا تعرضوا صاحبكم للسباع. فقلنا فيما بيننا:ما جزاء العبد الصالح أن نعرضه للسباع. قال: فنبشنا عنه التراب، فلم نجد في اللحد شيئا.(الطبري، 2010، صفحة 330،329)

وتلك المظاهر والصفات ذاتها هي التي رسخت فكرة أن الولي له قدرات خارقة، وأن كل من يسعى إلى إيذائه أم المساس بقدسية سوف تحل عليه اللعنات،"وتدور حول الأو لياء وبعض كبار الصوفيين معتقدات كثيرة، وتدخل أحيانا مسألة الخوارق ذات المدلولات الدينية، فيقال مثلا،إن دهن الجسم بالزيت الموجود في أحد مقامات الأو لياء يشفي من الأمراض وييسر الأمور، كما يعتقد بأن إضاءة الشمع عند قبر ولي أو قديس أو في كنيسة فيها صورة العذراء مريم عليها السلام،أو المسيح عليه السلام يجلب الخير والبركة، ويُعْتَقَدُ كذلك أن لبعض الأو لياء قوة خارقة تجعل العاقر تحمل، والمريض يشفى، وذلك حينما يضع الولي طرف عصاه على رأس المريض أو العاقر أو الصبي المريض.(الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي ، 2005، صفحة 160)

وهناك اعتقاد شعبي راسخ بأن الولي مثلما تفيض البركة ويعم الخير على من يقصده طلبا للرزق أو العافية أو الولد فإن من تسول له نفسه المساس بقدسية الولي،والحط من قدرته،والسخرية منه والتهكم به سوف تحل عليه اللعنات، وسوف يتعرض إلى عقاب وخيم،"وترى تلك المعتقدات، أن من يريد أن يحفر قبر ولي أو يهدمه أو يزيله، فإن يده ستصاب بالشلل، إلا إذا تدارك نفسه وقدم قربانا لله تعالى، وهذا القربان يكون في ذبح شاة ومن ثم توزيعها على الفقراء. (الباش، المعتقدات الشعبية في التراث العربي ، 2005، صفحة 161)

وعليه فإن الولي في المعتقدات الشعبية يعتبر شكلا من أشكال التابو والمحظور والذي تنجر على انتهاكه والمساس بحرمته عواقب وخيمة، وأضرار جسيمة، "فقد حدثنا عبد الله خلف بن هشام أبوشهاب الحناط عن سفيان عن رجل عن ابن منبه قال لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون، قال

لا يرعكما لباسه الذي لبس من الدنيا، فإن ناصيته بيدي، ...إنما يتزين لي أو ليائي بالخشوع والذل والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم، فتظهر على أجسادهم،...فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف وليا فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر لهم يوم القيامة.(الدنيا، 1993، صفحة 48،47).

وهذا ما أكده "سيجموند فرويد" في كتابه "الطوطم والتابو" عندما قال:"بالنسبة لنا يتشعب معنى التابو إلى اتجاهين متعاكسين، يعني لنا من جهة: مقدس، مبارك،ومن جهة أخرى: رهيب، خطير ومحظور، كما أن التابويعبر عن ذاته أساسا في المحظورات والتقييدات، وعبارتنا" المهابة القدسية"تنطبق غالبا على معنى التابو، ...فالأشخاص والأشياء الذين هم تابو يمكن تشبيههم بأشياء مشحونة كهربائيا، هم موضع قوة رهيبة تنتقل باللمس، وتتمخض عن ويلات. (فرويد، الطوطم و التابو، 1983، صفحة 43،41)

ثانيا: الولي من المتخيل الجمعي إلى المنجز الحكائي

1–حكاية "لالة تركية " أنموذجا.

تقول الحكاية الشعبية أن لالة تركية فتاة لم تتجأو ز التسع سنين، لكنها كانت تحفظ القرآن كله، وقد بدت عليها منذ نعومة أظافرها بعض الملامح التي تنبأ أنها من الأو لياء،ومن بين تلك الإشارات أنها كانت تعتزل الناس وهذا ما يعرف عند الولي بالخلوة وتعيش مع الحيوانات والعفاريت، دون أن تؤذيها، وتأكل حشيش الأرض وتشرب من الوديان.

وذات يوم كما تقول رأو ية الحكاية، اعترض سبيل لالة تركية صيادان كانا في الغابة فرآها وتبعاها إلى خلوتها، وسدد أحدها بندقية الصيد صوبها وأطلق النار عليها، وبقدرة قادر تغير اتجاه فوهة البندقية وأصاب الصياد نفسه بطلقة النار وسقط قتيلا، وهو سلوك خارق وخارج عن المألوف والعادي وكأن تلك الفتاة تمتلك قدرات وطاقات غريبة وعجيبة أو كأن لها سلطانا على كائنات روحانية تصرفها متى شاءت وأنى شاءت، وهذا ما يعرف عند الأو لياء بالكرامات، وهذا ما جسده المقطع الحكائي التالي :"وعندما قرب الوقت الذي تسرح فيه لالة تركية، خرجت صباح الاثنين باكرا تمشي في البراري والجبال، وفجأة رأو

ها زوج " جلابة"، أحدهما قال: هذه روحانية، والآخر قال هذه ليست مشية روحانية ن هذه امرأة، ورد عليه صاحبه: كيف يمكن أن تكون هنا امرأة في هذه الجبال والبراري الخالية، فتتبع أحدهما خطواتها، إلى أن دخلت خلوتها، وعندما همت بالخروج صوب بندقيته اتجاهها ورمى، وفجأة انحرفت بندقيته اتجاهه وقتل نفسه، ويقيت هي على قيد الحياة.(تركية، حكاية الرحلة الروحانية للالة تركية)

ثم نعثر في مقطع حكائي آخر على بعض الكرامات التي تعتبر من أهم ما يميز الولي، فقد كانت لالة تركية في طريقها إلى المدرسة لقراءة القرآن برفقة أخواتها وكانت الأرض بها شقوق، فمدت لالة تركية يدها ما بين الشقوق وأخرجت حبات تمر طيبة، وهذا ما جسده المقطع الحكائي التالي :". ..وفي إحدى ا أيام كانت لالة تركية ذاهبات إلى المدرسة لقراءة القرآن، وأثناء طريقهن مررن ببعض الأراضي المنشقة أي بها شقوق، فأخرجت لالة تركية من إحدى هذه الشقوق عرجون دقلة، وأكلت هي وأخواتها.(تركية، حكاية الرحلة الروحانية للالة تركية)

نلاحظ بجلاء من خلال هذه المقاطع الحكائية تركيز الرأو ي على استحضار كل مظاهر العجيب والغريب والما فوق طبيعي الذي يعتبر خصيصة ملازمة للولي، والذي يجعله متفردا ومهابا ومتميزا، فليس من المألوف والعادي أن فتاة في سن التاسعة من العمر تحفظ القرآن كاملا، وتعيش في البراري مع الوحوش والأفاعي دون أن تتأذى، ولها قدرة عجيبة على تغيير اتجاه فوهة البندقية دون أن تلمسها بيدها أو تستعمل معها القوة، وهذه الصفات الخارقة هي التي تجعل من هذه الفتاة متفردة ومتميزة واستثنائية، ومن بعد فإنها بكل سهو لة سوف تبسط سلطانها على كل من حولها.

تنتشر حكايات الأو لياء في كل منطقة من مناطق الجزائر، لدرجة أن لكل منطقة أو لياؤها الذين تتبرك بهم العامة، وتطلب عونهم باعتبارهم واسطة بينهم وبين الله، فيلجأو ن لهم ليرفع الله عنهم المرض والضر والفقر والحاجة والعوز، وحتى يرزقهم الله بالذرية الذكر، وهم يؤمنون بهم إيمانا مطلقا ن ويقدمون مراسيم الولاء والطاعة في حضرة أضرحتهم، فتحول الوعي الجمعي من تقديس الولي إلى تقديس ضريح الولي الذي يضم رفاته أو الزأو ية التي كان يقيم فيها الولي خلوته متعبدا ومتجهدا.

الخاتمة:

تعد شخصية "الولي" من أكثر الشخصيات الدينية سلطة وحضورا في المخيال الشعبي لارتباطها بالمقدس والجليل، وهي شكل من أشكال المعتقدات الشعبية، وقد تجلت في كثير من الأجناس الأدبية، ولعل الحكاية الشعبية من أكثر أجناس الأدب قدرة وكفاءة على تجسيد هذه الشخصية الملغزة التي توشحت بالعجائبي والغريب والمدهش.

وقد سعينا في هذه الدراسة إلى الكشف عن الروافد التي أسهمت في تشكيل شخصية الولي، وأمدتها بتلك الكثافة الدلالية والموضوعاتيبة، وخلصنا إلى جملة من النتائج نذكر أهمها:

-تعتبر شخصية الولي شخصية مركبة وإشكالية أثارت الكثير من الأسئلة حول مرجعياته أو مصادرها.

-شكلت شخصية الولي مظهرا من مظاهر المعتقد الديني.

استمدت شخصية الولي قداستها في المخيال الشعبي من ارتباطها بالمقدس الديني.

-تضافرت روافد عدة في تلوين شخصية الولي ،ولعل أبرزها الرافد الأسطوري والرافد الفلسفي والرافد الديني.

-تماهت، في كثير من الأحيان، في المخيال الجمعي، شخصية الولي مع شخصية النبي أو الصوفي.

-حافظت شخصية الولي، في انتقالها من المتخيل الجمعي إلى المنجز الحكائي على زخمها الدلالي، وكثافتها الموضوعاتية.

-أسهمت الكثير من مظاهر التعجيب في إضفاء هالة من الفرادة والتميز على شخصية الولي.

-يقترب مفهوم القداسة عند الولي من مفهوم المعجزة عند الأنبياء، ومفهوم الكرامات عند المتصوفة.

قائمة المصادر والمراجع:

أبوالقاسم هبة الله بن الحسين الطبري. (2010). *كرامات الأو لياء*. مصر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع.

أبوبكر عبد الله بن مُحَمَّد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا. (1993). *الأو لياء*. لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية.

الرأو ية طاهي خيرة أخت لالة تركية. (بلا تاريخ). حكاية الرحلة الروحانية للالة تركية.

الرأو ية طاهي خيرة أخت لالة تركية. (بلا تاريخ). حكاية الرحلة الروحانية للالة تركية.

إيميل دوركايم. (2019). *الأ شكال الأو لية للحياة البدائية-المنظومة الطوطمية في أستراليا*. لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

جميل حمدأو ي. (2020). *أنثروبولوجيا الطقوس والشعائر الدينية*. المغرب الأقصى: دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني.

جميل حمدأو ي. (2020). *أنثروبولوجيا الطقوس والشعائر الدينية*. المغرب الأقصى: دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني.

جيفري بارندر. (ماي, 1993). المعتقدات الشعبية لدى الشعوب. *عالم المعرفة*، صفحة 11، 10.

جيفري بارندر. (ماي, 1993). المعتقدات الشعبية لدى الشعوب. *عالم المعرفة*، صفحة 7.

دانييل هيرفيه ليجيه، جون بول ويلام. (2005). *سوسيولوجيا الدين*. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة.

سيدي عابد عبد القادر. (2008). *التصورات الاجتماعية لزيارة الضريح في العلاجات التقليدية*. جامعة وهران.

سيغموند فرويد. (1983). *الطوطم والتابو*. سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

سيغموند فرويد. (1983). *الطوطم والتابو*. سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

عبد الحكيم خليل سيد أحمد. (2013). *دراسات في المعتقدات الشعبية*. مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

عبد الحكيم خليل سيد أحمد. (2013). *دراسات في المعتقدات الشعبية*. مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

غوستاف لوبون. (2014). *الآراء والمعتقدات*. مصر: مؤسسة هندأو ي للتعليم والثقافة.

كلود ريفيير. (2015). *الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان*. مصر: المركز القومي للترجمة.

مُحَمَّد الجوهري. (1978). *الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية*. مصر: دار الكتاب والتوزيع.

مُحَمَّد الجوهري. (1978). *الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية*. مصر: مصردار الكتاب للتوزيع.

مُحَمَّد الجوهري. (1978). *الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية*. مصر: دار الكتاب للتوزيع.

مُحَمَّد الجوهري. (1978). *الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية*. مصر: دار الكتاب للتوزيع.

مُحَمَّد توفيق السهلي وحسن الباش. (2005). *المعتقدات الشعبية في التراث العربي*. الأردن: دار الجليل.

مُحَمَّد توفيق السهلي وحسن الباش. (2005). *المعتقدات الشعبية في التراث العربي*. الأردن: دار الجليل.

مُحَمَّد توفيق السهلي وحسن الباش. (2005). *المعتقدات الشعبية في التراث العربي*. الأردن: دار الجليل.

محمود صيام مُحَمَّد الشيخ. (1986). *المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي*. المملكة العربية السعودية.

ميرسيا إلياد. (1987). *تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية*. سوريا: دار دمشق.